الفلسفة ثانية باك

مفهوم الواجب (المحور الثاني : الوعي الأخلاقي)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : جون جاك روسو
1-2/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
3-2/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : فريدريك نيتشه
1-3/ النص الفلسفي
2-3/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : سيغموند فرويد
1-4/ النص الفلسفي
2-4/ الأسئلة
3-4/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

تقوم الأخلاق على الوعي كقدرة على التمييز بين الخير والشر، حيث يبدو الوعي أو الضمير الأخلاقي كأحاسيس داخلية أو صوت ينطلق من أعماق الذات للقيام بالواجبات.

ولهذا فمفهوم الواجب يرتبط أشد الارتباط بمفهوم الضمير الأخلاقي، والذي يدل من المنظور السيكولوجي على الوعي، ومن المنظور الأخلاقي على الضمير.

نجد هناك تأكيدا وتلازما بين الوعي والضمير بحيث يفترض أحدهما الآخر، وكلاهما يرتبط بالفرد والمسؤولية الفردية، لكن الملاحظ أن الناس يختلفون في أحاسيسهم وأحكامهم الأخلاقية، وهو ما يجعلنا أمام مفارقة يمكن صياغتها في التساؤلات التالية :

- ما المقصود بالوعي الأخلاقي او الضمير الأخلاقي ؟
- كيف يتشكل ويتمظهر على مستوى الفرد والجماعة ؟
- ما مصدرة وطبيعته ؟
- هل هو فطري متأصل في الإنسان أم أنه مكتسب ناشئ عن ماهو سيكولوجي وثقافة المجتمع وقيمه ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : جون جاك روسو

2-1/ النص الفلسفي

فطرية الضمير الأخلاقي

يوجد في أعماق النفوس البشرية مبدأ فطري[1] للعدالة والفضيلة، تقوم عليه، رغم مبادئنا الشخصية، أحكامنا التي نصدرها على أفعالنا وأفعال الغير فنصفها بالخيرة أو الشريرة. وإنني أسمي هذا المبدأ باسم الوعي[2] (...) إن أفعال الوعي، أو الضمير، ليست أحكاما بل أحاسيس. هذا، وعلى الرغم، من أن كل أفكارنا تأتينا من الخارج، فإن الأحاسيس التي بها نُقَدِّر الأفكار، هي أحاسيس توجد بداخلنا، وبواسطتها وحدها ندرك التوافق أو عدم التوافق الموجود بيننا وبين الأشياء التي علينا احترامها أو النفور منها(...) وكيف ما كانت طبيعة علة وجودنا، فحسبها أنها عملت على حفظ وجودنا بأن منحتنا الأحاسيس المناسبة لطبيعتنا، ولا يمكن أن ننفي أنها، على الأقل، أحاسيس فطرية. إن هذه الأحاسيس، بالنسبة للفرد، هي حب الذات، والخوف من الألم والموت والرغبة في العيش السعيد. لكن، وإذا كان من غير شك أن الإنسان اجتماعي بطبعه، أو على الأقل، وجد ليصير كذلك، فلن يتحقق له ذلك، دون أحاسيس فطرية أخرى خاصة بنوعه. ذلك لأنه لو أخذنا بعين الاعتبار فقط الحاجة الفيزيائية[3]، فإن ذلك سيؤدي إلى تمزيق شتات الناس بدل التقريب بينهم. هكذا إذن، يولد دافع الضمير من النسق الأخلاقي المركب من هذه العلاقة المزدوجة: العلاقة بالذات والعلاقة بالأشباه. هناك فرق بين معرفة الخير ومحبته: فالإنسان ليست لديه معرفة فطرية، لكنه بمجرد ما يدرك الخير بعقله، حتى يحمله وعيه على حب هذا الخير. وهذا الإحساس هو وحده الفطري(...)

أيها الضمير! أنت أيتها الغريزة الإلهية والخالدة، وذات الصوت السماوي، والمرشدة المضمونة، لإنسان جاهل ومحدود النظر، لكنه إنسان ذكي وحر. أيها الضمير، أنت الغريزة المعصومة في تمييزها بين الخير والشر، والتي تجعل الإنسان شبيها بإله. أنت أيها الضمير من يعطي امتيازا لطبيعة الإنسان، ويمنح أفعاله خُلُقا. فبدونك لن أشعر في ذاتي بما يجعلني أسمو فوق مرتبة البهائم.

جون جاك روسو، **إميل أو في التربية**، منشورات غارنيي، 1961، ص: 352-355

Jean Jacques Rousseau, Emile ou de l'éducation .

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه روسو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن روسو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة روسو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب روسو عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة روسو وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

يؤكد الفيلسوف الفرنسي الرومانسي جون جاك روسو أن مصدر الوعي الأخلاقي يعود إلى عمق النفس الإنسانية الخيرة كمبادئ فطرية خالدة مطبوعة في الفطرة، ومنه فأساسه فطري غريزي من خلاله يتمكن المرء من تمييز الخير عن الشر، فالإنسان خير بطبعه وكل ما يصدر عن الطبيعة فهو خير.

وما المفاسد التي صارت جزء من طبيعته سوى سلوكات وأفعال اكتسبها وتلقاها عن طريق المجتمع والتي حولته الى كائن شقي، ومن ثمة فالوعي الأخلاقي هبة تجعلنا نسمو على الحيوانات على حد تعبير روسو.

وهكذا فالوعي الأخلاقي لا ينتج عن مصدر خارجي كالعادات والتقاليد الإجتماعية التي من شأنها أن تفسد الميول الخيرة في فطرة الإنسان، بل إن أساس الوعي هو الفطرة الإنسانية الخالصة النقية الخيرة.

III- الموقف الفلسفي 2 : فريدريك نيتشه

1-3/ النص الفلسفي

شقاء الوعي الأخلاقي

لكي يُكْسِبَ المَدِينُ وَعْدَهُ بالتسديد مصداقيةً، ويمنح ضمانة لحديثه ولقدسية وعده، لكي يطبع في ضميره[1] ضرورة التسديد باعتبار ذلك واجبا والتزاما؛ فإنه يلتزم للدائن بموجب عقدة، في حالة عدم تسديده للدين، أن يعوضه بشيء آخر مما "يملك"، مما لا يزال تحت سيطرته، كجسده مثلا أو زوجته أو حريته، بل وحياته (أو تحت بعض الشروط الدينية المحددة، بخلاصه الأبدي، بخلاص روحه، بل حتى براحته داخل قبره. هكذا كان في مصر حيث لم يكن الدائن يرحم جثة المدين، وقد كانت هذه الراحة تعنى لدى المصريين الشيء الكثير). كان باستطاعة الدائن أن يُتلف جسد المدين ويعذبه مثلما يحلو له، كأن يقطع جزءا يبدو له مناسبا مع أهمية الدين، وارتكازا على هذه الطريقة في النظر إلى الأمور ظهرت باكرا في كل مكان تقديرات مضبوطة، شنيعة في دقتها أحيانا، تقديرات لها قوة القانون، بشأن مختلف أجزاء الجسم وأطرافه(...)

بدل الامتياز الذي يعوض الضرر مباشرة (إذ بدل تعويض مالي أو عقاري أو بملكية ما) يعطي الدائن نوعا من الإرضاء على سبيل التسديد والتعويض وهو ممارسة لسلطته في أمن وأمان على مخلوق أصبح عاجزا، وكذلك شهوة الإيذاء حبا في الإيذاء والاستمتاع بممارسة العنف(...) وبفضل "العقاب الموجه" للمدين ينال الدائن حظه من حق السادة[2] ، ذلك أنه يشعر في نهاية المطاف بذلك الإحساس المشرِّف الناتج عن تمكنه من احتقار وإهانة مخلوق ما باعتباره شيئا أدنى منه (...)

في نطاق قانون الالتزام هذا، يكمن أصل التصورات الأخلاقية مثل "الخطأ" و"الضمير" "الواجب" وقدسية "الواجب"، ومثلها مثل كل شيء عظيم على هذه الأرض فقد رَوَتْهَا في بدايتها دماء كثيرة رَدْحاً طويلا من الزمن. ينبغي أن نضيف أن هذا العالم من التصورات لم يفقد يوما ما رائحة الدم والتعذيب (حتى في الأمر المطلق الذي يقول به "كانط" نجد أثرا من القسوة).

فريدريك نيتشه، **جينيالوجيا الأخلاق** ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، 2006، ص: 55-56.

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه نيتشه.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن نيتشه يجيب عنه.

2- أبني أطروحة نيتشه من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب نيتشه عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

الوعي الأخلاقي حسب نيتشه يجد أساسه في العلاقات التجارية الأولى بين الناس، فقد نشأ هذا الوعي في إطار علاقة تجارية بين الدائن والمدين، حيث أن هذا الأخير عجز عن أداء ما عليه من دين للأول، باعتباره واجبا عليه، فعوض له ذلك بخضوعه له وانصياعه لأوامره.

من هنا فأصل الوعي الأخلاقي، أو التصورات الأخلاقية مثل الخطأ والضمير والواجب وقدسية الواجب ومثلها من كل شيء عظيم على هذه الأرض، وبالتالي أصل الخير والشر، هو تلك القيم والواجبات التي وضعها الدائنون ليعاقبوا بها المدينين ويصبحوا سادة عليهم.

يتبين إذن أن الوعي الأخلاقي ذو جذور تاريخية وتجارية، إذ أنه يجد مرتكزاته في الصراع الذي حصل بين الناس حول المصالح الاجتماعية والاقتصادية، ولذلك فالإنسان لا يلتزم بالواجبات الأخلاقية في ذاتها، كما لا تكتسي هذه الواجبات صبغة ثابتة ومطلقة، بل إنه يتوخى النتائج النافعة المترتبة عن تلك الواجبات، مما يضفي عليها طابع النسبية والتغير.

IV- الموقف الفلسفي 3 : سيغموند فرويد

4-1/ النص الفلسفي

هل الأنا الأعلى هو الضمير الأخلاقي ؟

(س. فرويد)

كانت التصورات الفلسفية والأخلاقية السابقة على التحليل النفسي تتحدث عن الضمير الأخلاقي ككيان معياري مضمر في نفوس الناس بعيدًا عن أية محددات اجتماعية أو نفسية. لكن التحليل النفسي في تحليله الثلاثي للنفس البشرية اعتبر ما نسميه بالضمير الأخلاقي جزء من البنية النفسية يتضمن تمثلاً للمتطلبات الأخلاقية للمجتمع واستيعابًا لمباحاته ومحرماته. فالعنصر الأخلاقي هو جزء من النفس وهو انعكاس لقيم الجماعة وليس كيانًا قبليًا مستقلاً.

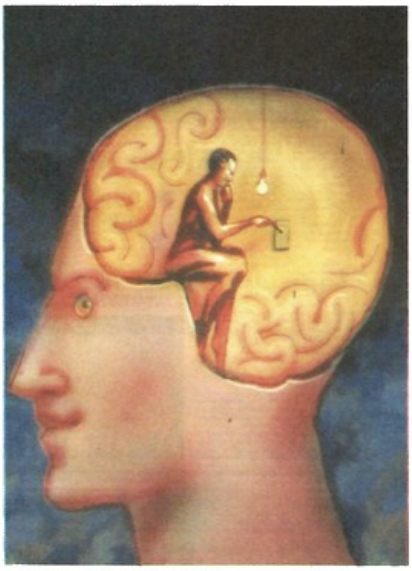

مجلة Pour la science n° 302- Decembre 2002.

«الأنا الأعلى هيأة نفسية اكتشفها التحليل النفسي. والضمير الأخلاقي هو الوظيفة التي ننسبها لهذه الهيأة بجانب وظائف أخرى، وتتمثل هذه الوظيفة في مراقبة أفعال ومقاصد الأنا والحكم عليها، ممارِسةً على الأنا عمليةَ رقابة.

إن الإحساس بالذنب، وقساوة الأنا الأعلى، وصرامة الضمير الأخلاقي، كلها شيء واحد. إن الإحساس بالذنب هو تعبير عن إدراك الأنا لكونه خاضعًا للمراقبة من طرف الأنا الأعلى، كما أنه تعبير عن مقدار التوتر القائم بين ميولات الأنا ومتطلبات الأنا الأعلى، وكذا عن القلق النفسي التي يتولد في النفس أمام هذه الهيأة النقدية التي تشمل كل علاقات الفرد. أما الشعور بالحاجة إلى العقاب فهو تعبير عن الدوافع الكامنة في الأنا الذي يصبح مازوشيًا (متقبلا للتعنيف) بسبب شدة تأثير الأنا الأعلى الذي أصبح ساديًا (ممارسا للتعنيف). وبعبارة أخرى فإن الأنا يستعمل جزءًا من الطاقة النفسية الداخلية الهدامة التي هي كامنة فيه، من أجل أن إقامة علاقة شبقية أو عشقية مع الأنا الأعلى.

لذلك يجب ألا نتحدث عن ضمير أخلاقي قبل إبراز وجود ودور الأنا الأعلى. أما فيما يخص مشاعر الذنب فلا بأس من التسليم بأن هذه المشاعر موجودة قبل الأنا الأعلى، وبالتالي فهي سابقة على الضمير الأخلاقي. مشاعر الذنب هاته هي إذن التعبير المباشر عن القلق الذي تشعر به الذات أمام السلطة الخارجية، وشاهد على وجود توتر بين الذات وبين هذه السلطة الخارجية، وهي كذلك إحدى بقايا أو علامات وجود صراع أو أزمة بين الحاجة إلى أن يكون المرء محبوبًا من طرف هذه السلطة وبين ذلك الاندفاع نحو إشباع وتلبية حاجات الدوافع الغريزية التي يؤدي حرمانها من الإشباع إلى توليد ميل نحو العدوانية.»

S. Freud, *Malaise dans la civilisation*, Paris, 1980, p. 79. (ترجمة فريق التأليف)

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه فرويد.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن فرويد يجيب عنه.

2- أبني أطروحة فرويد من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب فرويد عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة روسو وأطروحة نيتشه.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

4-3/ التصور الفلسفي

يؤكد المحلل النفسي سيغموند فرويد أن الوعي الأخلاقي جزء من الجهاز النفسي، وتحدده سلطة الأنا الأعلى كسلطة آمرة يتم بها تقييم الفعل الإنساني.

الأنا الأعلى هيئة تمارس الرقابة عبر آليتين (العقاب والثواب) على أفعال ومقاصد الأنا والحكم عليها، فنمو الوعي الأخلاقي يظهر الإحساس بالذنب ومختلف أشكال التوتر والقلق التي تتولد نتيجة التعارض القائم بين متطلبات الأنا الأعلى وميولات الأنا المدفوعة من الهو، فبمجرد تفكير الأنا القيام بأي سلوك يتنافى مع القيم الأخلاقية يشعر الفرد بالتوتر والقلق والإحساس بالذنب، وهو تعبير عن إدراك الأنا معارضتها لمعايير الذات الأخلاقية المثالية.

ومنه فالضمير الأخلاقي حسب فرويد مكتسب تفرضه سلطة خارجية متمثلة في أوامر ونواهي الأنا الأعلى، هذه الهيئة التي تعمل على تحقيق التوازن والإنسجام بين القيم والمبادئ من جهة، وبين الأهواء والرغبات من جهة ثانية، مع مراعاة مدى توافقها مع مبدأ الواقع.

V- تركيب

تأسيسا على ما سبق يمكن القول إن الأطروحات التي تناولت إشكالية الضمير الأخلاقي تقدم كل واحدة منها جانبا من جوانبه المختلفة، فهو قد يكون حسب روسو إحساسا داخليا متأصلا في الطبيعة الإنسانية، أي فطريا وأزليا وخالدا وصائبا على الدوام، في المقابل يعتبر التحليل النفسي مع سيغموند فرويد بأنه جزء لا يتجزأ من البنية النفسية، فالعنصر الأخلاقي هو جزء من النفس وهو انعكاس لقيم الجماعة وليس كيانا قبليا مستقلا، في حين يراه نيتشه مثله مثل كل شيء عظيم على هذه الأرض، قد روته في بدايته دماء كثيرة ردحا طويلا من الزمن، فهو ليس إلا معاناة نمارسها وكأننا بذلك نؤدي دينا، ونشعر باللذة النهائية عند آدائه.